

إهداء

إلى كل من له فضل علي بعد الله.
إلى ذلك البطل العظيم الذي رباني و أحسن الي.
إلى أبي الحبيب الغالي (رحمه الله).
إلى تلك المحاربة القوية، التي واجهت أصعب الظروف و الأحداث
لأجلي.
إلى أُمي (بارك الله لي في عمرها).
إلى رفيقة دربي و قلبي و توأم روحي (نهى رحمها الله).
إلى تلك الروح الخفيفة، إلى أكبر داعم لي، إلى زميلة العمل و رفيقة
النجاح (نسرين).
إلى كل أساتذتي. إلى كل من علمني و لو حرفا.
إلى أهلي و عائلتي. و أخص بالذكر: د/ فرحة، أنيستي و رفيقتي إلى
رحلة معرض القاهرة الدولي للكتاب العام الماضي 2024 و توقيع
كتابي و أولى أعمالي "ستشرق شمسنا يوما".
و أخص أيضا بالذكر: أبو أنس، أخي و رفيقي إلى نفس تلك الرحلة
إليكم جميعا، أهدي روايتي هذه و التي بين أيديكم الآن.
ثم اني أتقدم اليكم بأسمى معاني و كلمات الشكر و العرفان لدعمكم
الدائم لي. دمتم بخير.

المقدمة

الحب غريزة فطرية، جبلنا الله عليها.

رغم أننا عندما نتفوه بهذه الكلمة "الحب"، تذهب جل عقولنا أنه لا بد من أن يكون هذا الحب بين اثنين. هما رجل و امرأة.

الا أنه لا يقتصر ذلك المسمى على هذا المعنى الضيق في أذهاننا. بل أنه أشمل من ذلك.

فهناك حب الله، حب الوالدين، حب الدين والوطن... الخ.

و هو حب غريزي فطري. لا سلطة لنا عليه.

ربما هذا العمل الكتابي مختلف نوعا ما عما كتبته مسبقا. و قد كان آخر ما كتبت، هو المجموعة القصصية "ستشرق شمسنا يوما". و التي تم نشرها العام الماضي في معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام 2024.

و أما اليوم فهذه الرواية التي بين أيديكم الآن متنوعة، ما بين الوطنية و الرومانسية و كونها تتناول أحداثا اجتماعية. فحتما ستنال إعجابكم.

في احدى ليالي الخريف المجحفة، حيث تساقط الأوراق، و ذبول الأزهار و هطول الأمطار. و كأن الموت يصيب الكون في فصل الخريف.

تسود تلك الأجواء فيلا وحيد عثمان الهلاي و مزرعته الملحقة بها.

على أريكته المفضلة بغرفة المكتب، يجلس وحيد منكباً، يراجع بعض الأوراق الخاصة بعمله. و يجري بعض الاتصالات الهاتفية قبل سفره إلى باريس في الرابعة صباحاً من فجر هذا اليوم.

فهو رجل الأعمال المعروف داخل مصر و خارجها.

و بينما هو على تلك الهيئة، اذا بصوت صراخ و بكاء غير منقطع.

قفز وحيد من مجلسه فزعا، محاولا تحديد اتجاه الصوت.

اهتدى أخيرا إلى أن الصوت آتيا من الغرفة المجاورة.

انطلق وحيد إلى تلك الغرفة كالسهم ؛ ليطمئن على من بها.

و قد كانت زوجته ذات.

يتساءل وحيد في حالة من الهلع، و القلق يكسو وجهه من تلك الحالة التي رأى عليها ذات:

ذات.. ذات مالك يا حبيبتي.. فيكي حاجة؟

اقترب منها أكثر و قد جعل من ذراعه وسادة تستند عليها، و الآخر
أمسك به منديلا يمسح به حبات العرق التي تصببت على جبينها
من شدة تألمها. ذات بتأوه و ألم شديد باديا على وجهها:

شكلي هولاء دلوقتي يا وحيد.. آآآه !.

همس وحيد في أذنها:

لسه على ميعاد ولادتك.. انت في السابع يا ذات؟!

ذات بتأوه و قد بلغ منها الألم مبلغا عظيما:

دول ثلاثة يا وحيد.. آآآآآه.. الحقني يا وحيد !.

أمسك وحيد بهاتفه مسرعا، قاصدا الاسعاف.

رد الطرف الآخر:

مساء الخير يا فندم.

لم يمهل وحيد رجل الاسعاف ليكمل حديثه، بل قطعه قائلا بقلق
بالغ:

الحقوني بسرعة بعد اذنك.. عندي حالة ولادة متعسرة.. فيلا

وحيد عثمان الهلالي

و قد أملأه العنوان.

الطرف الآخر:

حالا يا فندم هنكون عند حضرتك.

أغلق وحيد سماعة الهاتف سريعا. و قد قام بدوره بمساعدة ذات في ارتدائها لملابس فضفاضة تناسب هيئة الوضع. فكل الخدم نيام باستثناء الحارس.

كانت ذات تنظر إلى وحيد تارة، و إلى ساعة الحائط تارة و إلى ذلك الخاتم الذي يزين اصبعها تارة أخرى. ثم تبتسم بآلم.

كان خاتما جذابا فريدا من نوعه. قد أهدته اليها أمها قبل وفاتها.

و بينما هي على تلك الحالة، أتت الاسعاف و قام رجال الاسعاف بحملها سريعا إلى المشفى.. القسم الخاص بالنسا و التوليد.

أسرعت الطبيبة و مساعدتها لانقاذ ما يمكن انقاذه.

كانت ملامح ذات تذبل شيئا فشيئا. فالنبض ينخفض و الصوت يكاد يختفي.

أخبرت الطبيبة وحيد قبل دخولها غرفة العمليات بأن حالة الأم و الأجنة في خطر.

تحققت مخاوفه اثر سماعه لصوت صراخ، قادما من الغرفة الخاصة بالعمليات.

لكنه لم يكن صوت ذات !!!

دخل وحيد في نوبة هستيرية من البكاء.

فكيف له أن يفقد زوجته و شريكة حياته و ابنة عمه الوحيدة. فهل أصبح حقا وحيدا في تلك الحياة؟!!!

كانت تلك الهواجس تدور في رأسه. مما كاد أن يفقد عقله.

أفاق وحيد من شروده و هواجسه و قد هدأ قليلا. لكنه لم يستطع رؤية وجه و جثمان زوجته و صغاره.

أحيانا نبتعد و لا نريد العودة إلى أماكن أحببنا ترابها. ليس لكوننا ننبذها ؛ و لكنها تحمل بين طياتها و بين ذرات و حبيبات ترابها ذكريات مع أشخاص لطالما تمنينا ألا يتركونا لوحدتنا. ألا تلهيهم الحياة عنا أو يقبضهم الموت منا.

و لكنه دستور الحياة و سنتها، لا شيء يبقى للأبد. و كأن كل شيء من حولنا يخاطبنا، بالأنا نتعلق فكل شيء مؤقت و إلى زوال الا الله، فهو الباقي.

ترك المشفى لتتولى مهمة الدفن. و انطلق إلى المطار ؛ ليلتحق بطائرته إلى باريس. و قد قرر عدم العودة إلى بلاده بعد وفاة زوجته و صغاره.

خرجت المساعدة (و قد كانت تدعى جومانا) من الغرفة مسرعة ؛
لتخبر وحيد بأن صغيراته الثلاث مازلن على قيد الحياة. و أن زوجته
ذات قد فاضت روحها إلى بارئها. و لكنها لم تجده !!
تألمت جومانا لما ألم بهؤلاء الصغيرات الثلاث. و شرعت تفكر قليلا
في ذلك المستقبل المجهول الذي ينتظرهن !
تذكرت جومانا ما ألم بها في صغرها و كيف فقدت أبويها، ففاضت
عينها بالدموع.
هيا بنا لنرى من هي تلك الجومانا و ما قصتها.

جومانا هي امرأة تعتنق اليهودية و في منتصف العشرينات من عمرها.

أتت إلى مصر في رحلة سياحية مع أمها التي تعتنق اليهودية و أبيها الذي يعتنق المسيحية. و قد فقدتهما في حادث أليم، أودى بحياتهما، و لكن جومانا ذات العشر سنوات قد نجاها الله.

بقيت جومانا وحيدة، تتخبط في ظلمات هذه الحياة.

لم تتدخل الحكومة المصرية و الاعلام المصري جهدا في البحث عن أهل الطفلة جومانا، من خلال الاعلانات و الأخبار.

و لكن المحاولات كلها قد باءت بالفشل.

قرأت الاعلان سيدة مصرية على مشارف الستين من عمرها. رق قلبها لحال جومانا. لاسيما أنها فقدت أبويها، اللذين يمثلان لها كل العائلة. فقررت أن تكفل جومانا.

عزمت في قرارة نفسها أن تجعلها كحفيدتها و تهبها كل ثروتها. فقد كانت هذه السيدة كجومانا، تفتقد إلى العائلة.

أولتها اهتمامها و لم تجبرها قط على اعتناق الاسلام و تغيير عقيدتها. بل تركتها لعقلها يستكشف و يفرق بين الحق و الباطل.

أحبت جومانا تلك السيدة كما أحبتها السيدة المصرية حبا جما.

أشبع جومانا بداخل تلك السيدة غريزة الأمومة. فلطالما تمت أن يكون لديها ابنة، تصب عليها من عاطفتها حتى تفيض و توليها اهتمامها.

أتقنت جومانا العربية كما العبرية، و كأنها ذات جذور و أصول عربية كان بجوار منزل السيدة المصرية، مشفى طبي. فألحقت جومانا به ؛ لتتعلم التمريض و تتقنه.

فرحت جومانا بذلك. فقد كانت ذكية، سرعان ما أتقنته و تم تعيينها به.

أحبت جومانا القسم الخاص بالنسا و التوليد. فعزمت على الالتحاق بمشفى طبي قريب من المسكن الذي تقطنه و قد عملت به كمساعدة طبية.

مرت الأيام و الشهور و الأعوام، و العلاقة بين جومانا و السيدة المصرية تتوطد أكثر فأكثر.

حتى جاء اليوم الذي رقدت فيه السيدة و لازمت الفراش. و جومانا بجوارها كظلها، ترعاها و تطببها.

ذات يوم و هما على تلك الحالة، أشارت اليها السيدة و كأنها تريد أن تقول شيئاً ما.

اقتربت منها جومانا أكثر و احتضنتها بحنان.

بدأت أخيرا السيدة و التي صارت عجوزا حديثها:

جومانا، تعلمين أنني أحبك كثيرا، و قد رأيت فيك ابنتي التي
حرمني منها القدر. أو ربما حفيدتي.

قاطعتها جومانا بقولها:

هل لديك ابنة؟

أدركت العجوز خطأها حينما تفوهت بذلك السر. و حاولت الهروب
من ذلك المأزق، فأكملت حديثها كأنها لم تسمع شيئا:

لا عليك يا جومانا. ها قد كبرت و أصبحت عروسا جميلة في
العشرين من عمرك. لكنني أخشى عليك الحياة، و أنا على
أعتاب الموت.

لم تكذ العجوز تكمل حديثها حتى أوقفتها جومانا، و قد اغرورقت
عينها بالعبرات. منذرة عن هطول الأمطار و شلالات المياه من بحر
عينها. مترجية اياها أن تكف عما ستقوله العجوز. فهي لا تحتمل
فقدانا آخر.

ازدردت جومانا ريقها بصعوبة بالغة، و قد أحنت رأسها مقبلة رأس
العجوز. ثم قالت بصوت أشج باك:

أرجوك ماما، كف عن هذا القول.

نظرت اليها العجوز نظرة حانية، زينت محياها الذي خطته التجاعيد و
امتلاً بها، معبرا عما قاسته عبر الزمن.